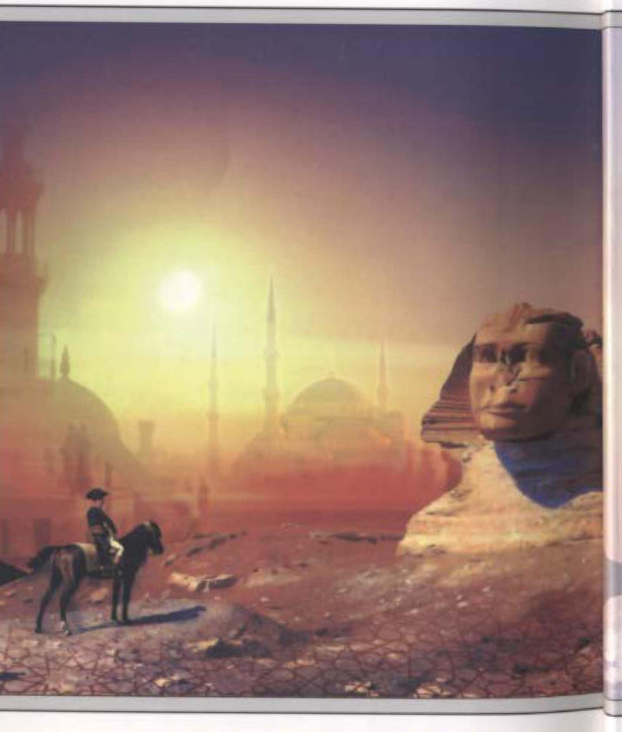
المستشرقون

والجدل الإسلامي المسيحي



د. عبد الحكيم بن الشريف فرحات

أمان معرفية متجددة

عبد الحكيم بن الشريف فرحات

متخصص في علم مقارنة الأديان، ولاسيما في مجال الديانات الشرقية الجديدة

- من مواليد الجزائر 1969

- دكتوراه دولة في مقارنة الأديان.
- أستاذ مقرر مقارنة الأديان بجامعة باتنة الجزائر.
- أستاذ زائر متفرغ بالجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا.

له عدد من المؤلفات في تخصصه، منها:

- مناهج المسلمين في دراسة الأديان.
- إشكالية تأثر القرآن بالأناجيل..
- الديانة السيخية.

بسم الله الرحمن الرحيم

المستشرقون والجدل الإسلامي المسيحي

مراجعات نقدية

المستشرقون والجدل الإسلامي المسيحي: مراجعات نقدية / عبد الحكيم بن الشريف فرحات .- دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩ .- ٧٢ص؛ ٢٠سم.

١-٢٩١,٢ ف ر ح م ٢- العنوان ٣- فرحات

الدكتور

عبد الحكيم بن الشريف فرحات

المستشرقون والجدل الإسلامي المسيحي

مراجعات نقدية



آفاق معرفة متجددة



دار الفكر - دمشق - البرامكة
٠٠٩٦٣ ٩٤٧ ٩٧ ٣٠٠١
٠٠٩٦٣ ١١ ٣٠٠١
http://www.fikr.com/
e-mail:fikr@fikr.net

المستشرقون

والجدل الإسلامي المسيحي

د. عبد الحكيم بن الشريف فرحات

الرقم الاصطلاحي: ٢١٨٥.٠٣٦

الرقم الدولي: ISBN:978-9933-10-064-3

الرقم الموضوعي: ٢٩١(الديانات المقارنة)

٧٢ص، ١٢ × ٢٠ سم

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م

المحتوى

مقدمة البحث

يعرف النصارى علم اللاهوت بقولهم: (علمٌ يبحث عن الله وصفاته وشرائعه وأعمال عنايته، والتعاليم التي يجب أن نعتقدها، والأعمال التي يجب أن نقوم بها)[1]، يطمح إلى البحث في الله، وفي الإنسان، وفي العلاقة بينهما، وعلاقة الله بالمخلوقات كافةً، ومعلَنات الوحي العديدة، ولاسيما شخص المسيح، وتنظيم دلائل الكتاب المقدس المستنبطة؛ تنسيقها مع بعضها بعضاً، ومع باقي المعارف الإنسانية. وقد جرى الاصطلاح المسيحي على تقسيم اللاهوت إلى أقسام

---

(١) جيمس أَنِس: علم اللاهوت النظامي، راجعه ونقّحه وأضاف إليه: القس منيس عبد النور، (كتاب إلكتروني).

www.answering-islam.org/Arabic/Books/Theology/index.html

(٢جانفي٢٠٠٨)، فصل١: س١ (ملاحظة: س: سؤال لا صفحة، لأن الكتاب مقسم على الأسئلة)، وقريب منه:

Alister E. Mc Grath, Christian Theology, 3 ed, (USA: Blackwell, 2001), p137).

مختلفة[١]؛ من أهمها الثيولوجيا، وتهتم بالبحث في إثبات الله وصفاته، وكل ما يعلّمه الكتاب في وجود الله وصفاته، وأقانيمه، وعلاقته بالعالم[٢].

ولقد احتفى الفكر الإسلامي بدراسة اللاهوت المسيحي، وخص الإلهيات منها بمزيد بحث منذ القرن الثاني الهجري، فظهرت دراسات علمية عديدة في تلك الفترة، وتعددت حتى صارت تعد بالفهارس، ولكن للأسف ضاع أكثرها، ولم تبق إلا عناوينها تتناقله الكتب[٣]. والقليل الذي بقي منها ما زال يفتقد حتى الساعة إلى دراسات دقيقة، تتفحص الفهم الإسلامي للإلهيات المسيحية في تلك المرحلة، وتبين مدى إدراكها لمدلولاتها وموقفها منها[٤]. وما عندنا من دراسات إسلامية حول هذه

---

(١) الثيولوجيا: الإلهيات. ويبحث عن الله وصفاته. ويشمل كل ما يعلّمه الكتاب في وجود الله، وصفاته، والتثليث، وعلاقة الله بالعالم في قضائه وأعمال الخليقة وعنايته بها (جيمس: علم اللاهوت النظامي، فصل٢: س١١-١٣) وأيضاً:

Mc Grath, Christian Theology, P137-139.

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع قائمة الكتب الضائعة التي اهتمت بالرد على النصارى، في: عبد المجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، (الجزائر - تونس: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦). حيث خصص الباب الثاني للتعريف بالردود الإسلامية على النصرانية، والكتاب مهم لولا ما فيه من غمز غير مؤسس بالتراث الإسلامي.

(٤) المصدر السابق.

المجالات لا يزيد على عدد الأصابع، وبالمقابل فقد نالت حظاً وافراً من اهتمام المستشرقين[١] ولعل من أهمها دراسات المستشرق الفرنسي المعاصر غي مو (Guy Monnot)، أستاذ الدراسات الإسلامية المتقاعد بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا (EPHE)[٢]، بفرنسة، له دراسات عديدة حول هذا الموضوع[٣]، تبلور عنها كتابه (الإسلام والديانات)[٤]، تتبع فيه فهم المتكلمين للعقيدة المسيحية ودلالاتها، وخلص إلى أنهم لم يفهموا دلالاتها، ولم يستوعبوا مراميها، فنقدوا مالم يفهموا، ظناً منهم أنها المسيحية حقاً، بينما هي ليست كذلك يقيناً، مما يطيح بقيمة كل ما أنتجه المفكرون المسلمون من ردود على النصارى، ويجعله

(١) Ali Bouamama, Polémique Musulmane contre le Christianisme depuis ses origines j'usqu'au 8 siecle, (Alger: Entreprise nationale du livre, 1984), p120-129.

(٢) (EPHE) Ecole Pratique des Hautes Etudes, Paris, France.

(٣) لم أعثر على ترجمة وافية للمستشرق، وقد تحدثت معه سنة١٩٩٤ بفرنسة، وراسلته مرات، وأبلغني أنه تقاعد سنة ١٩٩٥ غالب الظن، وانقطعت أخباره بعد ذلك. ولقد اتصلت بالمدرسة التطبيقية التي كان يحاضر فيها، بتاريخ ١٥ آذار/ مارس ٢٠٠٨؛ لأجل الحصول على معلومات حوله، فلم يردوا علي بشيء.

(٤) Guy Monnot, Islam et Religions, (Paris:Maison noeuve, 1986), p243.

ضرباً من التقول لا غير، ولم يلبث هذا الرأي أن صار شائعاً بين النقاد الغربيين، والمفكرين المسيحيين، والمبشرين المحدثين[١]. ولاشك في أن هذه النظرية قديمة، فقد أشار إليها المتكلمون من قبل، وبينوا أنها نوع من الهروب إلى الأمام[٢]، ومع ذلك فقد حاول غي مونو أن يؤسسها تأسيساً جديداً، كما سنرى، ويدعمها بمناهج وطرق نقد لم توظف من قبل.

ومع أن هذه النظرية تطيح بقيمة كل الردود الإسلامية على النصارى بما في ذلك التصوير القرآني لمحتوى العقائد المسيحية، إلا أنها مع ذلك لم تلق النقد الكافي بين الكتاب المسلمين، وهذا ما دفعني لتناولها في هذا البحث، عبر تحليل ما بسطه الدكتور غي مونو في كتابه، محاولاً الإجابة عن ثلاثة أسئلة، وهي: ما هي مستندات غي مونو في الحكم على المفكرين المسلمين بعدم فهم

---

(١) David Thomas, Early Muslim Polemic against Christianity, 1st ed, (UK: Cambridge University Press, 2002), p3-21. and also: www.alkalema.net (1january2008) (قسم بإله واحد).

وهو أشهر موقع مسيحي تبشيري عربي، تجد به كتباً عديدة حول هذه المسألة.

(٢) القاضي عبد الجبار، المغني، ٥/٨٨.

حقيقة التثليث المسيحي؟ وما هو المنهج الذي اعتمده حتى توصل إلى ذلك؟ وهل حقيقة أن المسلمين لم يستوعبوا حقيقة ما يعنيه النصارى بتثليثهم؟ وسأجيب عن هذه الأسئلة باستخدام ثلاثة مناهج: المنهج التحليلي أحلل به نصوص غي مونو ونصوص المتكلمين المسلمين، والمنهج المقارن للتأكد من الاتفاق والاختلاف وصحة دعواه، والمنهج النقدي كي أنقد النظرية وأسسها، وأبسط النتائج في العناصر التالية:



الفصل الأول

غي مونو والجدل الإسلامي المسيحي

تناول غي مونو في كتابه (الإسلام والأديان) فهم المفكرين المسلمين للإلهيات المسيحية بتحليله نصوص (المغني في أبواب العدل والتوحيد) للقاضي عبد الجبار[١]، كما خصه بمقالة علمية، ترجم فيها نصوصه[٢]. ولما أجاز لنفسه إصدار حكم على المفكرين المسلمين من خلال دراسة نصوص القاضي عبد الجبار فقد تبين أنه استخدم طريقة دراسة حالة من المفكرين المسلمين تصلح

---

(١) راجع بخصوص القاضي عبد الجبار، ترجمته وجهوده: عبد الحكيم فرحات: منهج القاضي عبد الجبار في دراسة الأديان، (قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر،٢٠٠٣)، وعبد الكريم عثمان: قاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي، (بيروت: الدار العربية للطباعة والنشر،١٩٦٧)، وعبد الستار الراوي، العقل والحرية،- دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي، ط١ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠).

(٢) Guy Monnot, "Les Doctrines des Chretiens" Dans le 'Moghni' de Abdal Jabbar" Mideo, N°16, (1983), P9 - 30.

أن تصير ممثلة لما لديهم من تصورات ومواقف. ولا شك في أن اختيار غي مونو للقاضي عبد الجبار حالة وأنموذجاً للنظر الكلامي في الإلهيات المسيحية التي تدرس؛ هو اختيار موفق إلى حد كبير؛ فالقاضي عبد الجبار قاضي القضاة(٣٢٥-٤١٥هـ)، كبير متكلمي المعتزلة، وآخر محققيهم، ومن أوائل الذين تصدروا قائمة المفكرين المسلمين الذين اهتموا بهذا الجانب من الفكر الإسلامي، وخاتمة علماء الاعتزال والوريث الشرعي لعقائدهم. ولذلك، فالبحث في موقفه الفكري من النصارى هو كشف عن موقف المعتزلة خاصة من النصارى، ولا سيما أنه قد قال فيه أحد أئمة المعتزلة: «وليس تحضرني عبارة تنبي عن محله في الفضل وعلو منزلته في العلم، فإنه الذي فتق الكلام ونشره، ووضع فيه الكتب الكثيرة الجليلة التي سارت بها الركبان، وبلغت الشرق والغرب، وضمنها من دقيق الكلام وجليله ما لم يتفق لأحد مثله»[١].

ولقد اعتمد غي مونو في دراسة نصوص مغني القاضي عبد الجبار على ثلاثة مناهج، وهي: المنهج

(١) الحاكم الجشمي: شرح عيون المسائل ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد السيد، ط٢، (تونس: الدار التونسية للنشر- الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦)، ٣٦٧.

التحليلي، و المنهج الدلالي، والمنهج المقارن؛ ذلك أنه قد تتبع نصوصه التي تناول فيها إلهيات النصارى بكتابه (المغني في أبواب العدل والتوحيد)، واقتفى مصطلحات النصرانية بمذاهبها المختلفة، مستخدماً المنهج التحليلي. ثم حلل دلالاتها عند القاضي عبد الجبار، ودقق في فهمه لها، ومحص في تصوره لها، وحقق فيما رآه من معنى، وما حصله من دقيقها ولطائفها، وكشف عن علاقاتها الدلالية بتطبيق المنهج الدلالي. ثم وظف المنهج المقارن ليكشف عن الاختلاف بين تصور القاضي عبد الجبار لها وتصورات النصارى.

ولا شك في أن لألفاظ الإلهيات المسيحية معانيَ مختلفة، صيرت النصارى فرقاً ومدارس مختلفة كما سنرى[1]، مما يقوي فكرة أن غي مونو قد ارتضى فهماً معيناً لألفاظ الإلهيات المسيحية ودلالاتها ولوازمها؛ أي إنه في حقيقة الأمر سيقارن تصور القاضي عبد الجبار بما ارتضاه من تفسير لألفاظها وارتضته النصارى. وهذا ما يجعلنا نفترض مبدئياً أنهما سيقفان على خلاف، إن لم نقل على طرفي نقيض؛ لأن القاضي مسلم معتزلي، في حين

(١) Alister E. McGrath, Christian Theology, 3 ed, (USA: Blackwell, 2001), p330-340.

أن مونو مسيحي كاثوليكي[1]. ولا يلبث هذا الافتراض أن يتأكد بمتابعة نتائج غي مونو؛ إذ قد توصل من خلال دراسته لنصوص القاضي عبد الجبار وردوده على النصارى أنه لم يفهم إلهياتهم البتة، ولم يحط بمراميها خبراً ولا علماً، فقد تصور المجاز حقيقة، وتعامل مع اللفظ العقدي كتعامله مع اللفظ العلمي، مع أنه تعبير بشري ومجازي عن الحقائق الإلهية، وتقريب في تصوير الحكم وضبط المعتقد، وهذا ما يمكن أن يعرض الناظر فيها لفهوم لم يردها واضعوها، فيلزمهم بآراء لم يقولوا بها أبداً. وعليه؛ فعامة الردود الإسلامية على العقائد النصرانية هي عبث من القول، ولغو من النظر، ومونولوج لا يفي بشيء، لأنها تنقد الدال ولا تصل إلى المدلول، وتنظر في التعبير ولا تخبر الإيمان، وتعول على لفظ المجاز، تتوهمه مذهباً للنصارى، ولا تلتفت إلى القرينة الصارفة[2]؛ أي إن سبب عدم التفاهم بين المتكلمين المسلمين واللاهوتيين المسيحيين حول الإلهيات النصرانية هو الاصطلاح، ولو أدرك المتكلمون ما عناه النصارى بتثليثهم ما أنكروا عليهم.

(١) Monnot, Islam et Religions, pp243-244.

(٢) المصدر السابق.

وقد دلل غي مونو على دعواه بالمقارنة التي عقدها بالجدول [رقم١]، والتي قابل فيها بين التحرير المسيحي للألفاظ اللاهوتية والفهم الإسلامي لها ممثلاً في القاضي عبد الجبار، عبر تحليل دلالات المصطلحات؛ ليؤكد أن المصطلحات الأساسية للإلهيات المسيحية (**الجوهر، الطبيعة، الأقانيم، الشخص**) لا تفيد نفس الدلالة عند كليهما، ولذلك فالنقد الموجه للإلهيات المسيحية في الدراسات الكلامية لا يتوجه إليه بقدر ما يتوجه إلى ما أدركه الراد؛ فالجوهر مثلاً يفيد عند النصارى القائم بذاته، في حين أنه شيء مادي عند المتكلمين، والأقنوم عند النصارى هو شخص أو علاقة، لكنه مفهوم غامض عند المتكلمين، والشخص هو معنوي عند النصارى، وهو مادي عند المتكلمين[(١)]؛ أي إن المتكلمين لم يفهموا الإلهيات المسيحية السائدة في وقتهم، ولذلك لم يستفد النصارى من نقدهم؛ لأنهم في نظرهم قد انتقدوا عليهم مالم يقولوا به أبداً[(٢)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

	تصور النصارى	المصطلح اليوناني	المصطلح العربي	تصور المسلمين
١	القائم بالذات	أوسيا(ousia)	جوهر	جوهر (مادي)
٢	الطبيعة الملكانية: جوهر كمية للحركة	فيزيس (physis)	طبيعة	طبيعة(مفروضة في الخالق كنهاية)
٣	الأقنوم الملكانية: موضوع علاقة إلهية داخلية (شخص) اليعاقبة وبعض النساطرة: جوهر حقيقي محسوس	إيبوستاز (hypostas)	أقنوم	أقنوم(=؟)
٤	الشخص الملكانية والنساطرة: مصطلح أو موضوع علاقة إلهية داخلية اليعاقبة: طبيعة شخصية محسوسة و جوهرية	بروصوبون (prosopon)	شخص	شخص (جسم)

بيان المقارنة [بيان رقم١][(١)]

قد يكون فيما أشار إليه الدكتور غي مونو شيء من صواب، إذ للتعبير البشري دور في عدم التفاهم الإسلامي النصراني، ولكن ليس بالصفة التي يصورها[(٢)]؛ إذ معلوم أن مصطلحات إلهيات النصارى قد اختلف النصارى في ترجمة صيغها ومصطلحاتها، ونتج عن اختلافهم تغاير في الدلالات، فصارت حمالة معان، بعضها مراد، وبعضها ليس كذلك[(٣)]، كما سنرى في العناصر الموالية.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ٢٥٦-٢٥٧.

ومع أن غي مونو قد تولى المقارنة الدلالية بين التصور الإسلامي لألفاظ الإلهيات النصرانية ودلالاتها عند النصارى، وأبرز خلاصة نتائجه في الجدول [رقم١] إلا أنه لم يهتم ببيان طريقته في تحديد دلالات الألفاظ عند القاضي عبد الجبار، ممثلاً للمفكرين المسلمين. فإذا كان قد اعتمد كتاب (المغني)، فإن القاضي عبد الجبار قد تناول الإلهيات النصرانية في مواطن كثيرة، أشار فيها القاضي عبد الجبار إلى دلالات كثيرة، قال بها النصارى من قبل وما زالوا، ومع ذلك لم يشر إليها غي مونو(١)، ولم يستوعبها بالتتبع والتحليل، مع أنه قد قام بترجمتها إلى اللغة الفرنسية في إطار ترجمته لما كتبه القاضي عبد الجبار حول النصرانية إلى اللغة الفرنسية(٢)؛ وهذا ما يجعل دراسته غير وافية، وغير دالة، فليس حكم التتبع القاصر كحكم الاستقراء الشامل،كما أنه لم يعرج على كتبه الأخرى التي أنجزت في المدة نفسها(٣)،

(١) Monnot, Islam et Religions, p243-244.

(٢) Monnot, "Les Doctrines des Chretiens" Dans le 'Moghni' de Abdal Jabbar", P9 - 30.

(٣) فرحات: منهج القاضي عبد الجبار في دراسة الأديان، ٣٠-٣٥.

علماً أنها لا تختلف عن (المغني) في عرض العقائد المسيحية، ولا في فهمها، وإنما في طريقة النقد، فقد وظف في كتابه (المغني) المنهج الجدلي بإطناب، ووظف في كتابه (شرح الأصول الخمسة) بإيجاز، بينما وظف في كتابه (تثبيت دلائل النبوة) منهجاً تاريخياً مقارناً.

ومهما يكن، فقد رفض المفكرون المسلمون الإلهيات النصرانية لأدلة تبينوها وأيقنوها، ولهم الحق في اختيار ما يشاؤون من آراء يسندها الدليل وينهض بها البرهان، إذ حرية الرأي مكفولة للجميع. ولذلك لا يمكن أن يعاب عليهم رأي رأوه، إلا إذا تبين أنهم قوّلوا النصارى مالم يقولوا، أو أنهم لم يفهموا الإلهيات المسيحية، وهو الأمر الذي لا يمكن الاستناد فيه إلى نتائج غي مونو؛ لأنه وظف طريقة الحالة (Case Study)، واقتصر على بعض النصوص، مماجعل حكمه غير واف، ونتائجه غير مسلمة، وطريقة مقارنته الدلالات وبنائه الجدول البياني [رقم١] غير مؤسسة. ولذلك سأقوم بمراجعة نتائج غي مونو مستخدماً الطريقة نفسها، ومتحرياً النصوص نفسها التي ارتضاها غي مونو بوصفه ممثلاً للفكر الإسلامي، أوظف كتاب القاضي

عبد الجبار الشهير: (المغني في أبواب العدل والتوحيد)[١]. كما أوظف كتابيه: (شرح الأصول الخمسة)[٢]، و (تثبيت دلائل النبوة)[٣]، وهما كتابان لم يفد منهما غي مونو في دراسته، وهما لا يختلفان عن (المغني) في عرض العقائد المسيحية، بقدر ما يختلفان في طريقة التعامل والنقد كما أشرت آنفاً، ولا سيما كتابه (تثبيت دلائل النبوة). وكان يمكن الاكتفاء بتحليل كتاب (المغني) جرياً على قواعد الحجاج، لما كان محل السؤال. ولكن آثرت الإفادة منهما؛ لأبين أن القاضي عبد الجبار قد استوعب النصرانية وفقه دلالاتها وزيادة، وأحاط بأبعادها المتعددة خبراً. وبذلك أستطيع أن أبني صورة كاملة ودقيقة حول تصور القاضي عبد الجبار، ثم لأقارن التحليل المحصل بما عند النصارى قديماً وحديثاً عبر تناول العناصر الموالية، ثم أعود فأقوّم نتائج غي مونو في ضوء ذلك، ومنها أخلص إلى تقويم نتائجه وبسط نتائج الدراسة.

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب العدل والتوحيد، تح، (مصر: دار الكتب المصرية، ١٩٦٦).

(٢) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، (الجزائر: موفم، ١٩٨٦).

(٣) القاضي عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، تح: عبد الكريم عثمان، ٢ج، (بيروت، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٦).

الفصل الثاني

القاضي عبد الجبار وقانون الإيمان النصراني

أكد القاضي عبد الجبار أن إلهيات النصارى ترجع إلى ما قرره قانون الإيمان بنيقية الروم، أو كما يسميها تسبيحة الإيمان[1]، فيه أوضحوا ما يلزم كل مسيحي أن يعتقده، وإن أخل بواحد منها فليس من المسيحية في شيء، يقول في ذلك: «يقولون في تسبيحتهم التي يسمونها (تسبيحة الإيمان) التي وضعت بنيقية من بلاد الروم،[...]، فكان تقريرهم لهذه التسمية، هي أصل الأصول عند جميع هذه الطوائف، ولا يتم لأحد منهم عندهم إيمان إلا بها، وهي:

١. نؤمن بالله الآب الأحد، خالق ما يرى وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح، ابن الله بكر أبيه، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من

(١) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ١/٩٣-٩٤.

جوهر أبيه، الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء.

٢. الذي من أجلنا معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس ومن مريم البتول، وصار إنساناً، وحبلت به مريم البتول وولدته، وأخذ وصلب وقتل أمام فيلاطس الرومي، ومات ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء.

٣. ونؤمن بالرب الواحد روح القدس، روح الحق الذي يخرج من أبيه، روح محييه.

٤. وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة قديسية سليحية جاثليقية، وبقيام أبداننا، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين. آمين»[١].

والتسبيحة التي ذكرها القاضي عبد الجبار لاتكاد تختلف عن القانون النيقوي القسطنطيني، المتبلور عن مجمع القسطنطينية، الذي انعقد بأمر من الإمبراطور ثيودوسيوس سنة ٣٨١م، وقد

(١) المصدر السابق.

صدَّقه مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م[١]، ونصه كما يلي:

«١. نؤمن بإلهٍ واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض. كل ما يُرى وما لا يُرى. وبرب واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور. نورٌ من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. من جوهر واحد مع الآب. الذي به كان كل شيء.

٢. الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء. وتأنّس. وصُلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقُبر. وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب. وأيضاً يأتي بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لملكه.

٣. وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء.

٤. وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية.ونعترف

---

(١) McGrath, Christian Theology, p321-322.

بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونترجى قيامة الموتى، والحياة في الدهر العتيد. آمين»[١].

ويظهر من المقارنة بين صيغة النصارى وصيغة القاضي عبد الجبار أنهما تكادان تكونان واحدة، فألفاظهما جد متقاربة، حتى إن القارئ ليخالجه احتمال نقل أحدهما عن الآخر. كما أن الصيغة التي رواها القاضي عبد الجبار لا تفترق كثيراً عن القوانين النصرانية الأخرى التي ترويها كتب اللاهوت المسيحي، كالقانون الرسولي[٢]، والقانون النيقوي[٣].

---

(١) جيمس: علم اللاهوت النظامي، فصل٨: س٤.

(٢) القانون الرسولي: نسبة إلى الرسل؛ لأنهم في نظر النصارى هم الذين بلوروه، ونصه: «أومن بالله الآب الضابط الكل، خالق السماء والأرض، وبيسوع المسيح ابنه الوحيد ربنا، الذي حُبل به من الروح القدس، ووُلد من مريم العذراء، وتألم على عهد بيلاطس البنطي، وصُلب ومات ودُفن ونزل إلى الجحيم. وقام أيضاً في اليوم الثالث من بين الأموات، وصعد إلى السماء، وهو جالسٌ عن يمين الله الآب الضابط الكل، وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات. وأؤمن بالروح القدس، وبالكنيسة المقدسة الجامعة، وبشركة القديسين، وبمغفرة الخطايا، وبقيامة الجسد، وبالحياة الأبدية. آمين». (ولمعرفة المقصود راجع: جيمس: علم اللاهوت النظامي، فصل ٣٧: س ٦-٩، وفصل ٤٩: س ٨).

(٣) القانون النيقوي: المتبلور سنة ٣٢٥م في مجمع نيقية المسكوني، ونصه: «نؤمن بإلهٍ واحد آب ضابط الكل، خالق كل الأشياء: ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله، المولود من الآب، المولود الوحيد أي من جوهر الآب. إله من إله، نور من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر (في الأصل: =

ويظهر من المقطعين الأول والثالث من التسبيحة التي نقلها القاضي عبد الجبار أن النصارى تعتقد في ألوهية كل من الآب والابن والروح القدس، وتسمي كل واحد منها أقنوماً، وتعتقد أن ثلاثتها إله واحد، يقولون: «البارئ عز وجل اسمه، وأقنوم الابن، أي الكلمة، وأقنوم روح القدس، أي الحياة، وربما يغيرون العبارة يقولون: إنه ثلاثة أقانيم ذات، وهو واحد»[١].

وقد زاد القاضي عبد الجبار هذا المعتقد تفصيلاً في كتابه (المغني) بقوله: «إن مذهب جميع النصارى، إلا نفراً منهم يسيراً، أن الله خالق الأشياء، والخالق حي متكلم، وحياته هي الروح التي يسمونها روح القدس، وكلامه هو علم، ومنهم من يقول في الحياة إنها قدرة. وزعموا أن الله

= ذو جوهر واحد مع الآب). الذي به كان كل شيء في السماء وعلى الأرض. الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل وتجسّد وتأنّس وتألم، وقام أيضاً في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء. وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات. وبالروح القدس. وأما الذين يقولون إنه كان زمان لم يوجد فيه (ابن الله)، وإنه لم يكن له وجود قبل أن وُلد، وإنه خُلق من العدم، أو إنه من مادة أخرى أو جوهر آخر، أو إن ابن الله مخلوق، أو إنه قابل للتغيير، أو متغير، فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية».

راجع: (McGrath, Christian theology, p321-322، وجيمس: علم اللاهوت النظامي، فصل١٣: س ١٦).

(١) عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ٢١١/١.

وكلمته وقدرته قدماء، وأن الكلمة هي الابن، وهي عندهم المسيح، الذي ظهر في الجسد الذي كان في الأرض. ويختلفون في الذي يستحق اسم المسيح، فمنهم من يقول إنه الكلمة والجسم إذا اتحد بعضهما ببعض، ومنهم من يزعم أنه الكلمة دون الجسد، ومنهم من يزعم أنه الجسد المحدث، وأن الكلمة صارت جسداً محدثاً لما صارت في بطن مريم، وظهرت للناس. ويزعمون جميعاً أن الكلمة هي الابن، وأن الذي له الروح والكلمة هو الابن. ويزعمون أن هذه الثلاثة هي إله واحد وخالق واحد، وأنها من جوهر واحد»[١].

وبذلك يتضح أن القاضي عبد الجبار كان يرى أن النصارى تعتقد أن الله آب وحي ومتكلم، كل واحد من هذه القيود الثلاثة يدعى أقنوماً: فالآب أقنوم، والكلمة أقنوم ثان، والحياة أقنوم ثالث، وثلاثتها جوهر واحد، تشترك في الجوهرية والكينونة، إلا أن الآب هو المصدر؛ الآب هو الينبوع الذي يتدفق منه الابن الوحيد بالولادة الأزلية بغير انفصال، وبكل خواصه وصفاته، ولذا قيل: «ابن الله بكر أبيه»[٢]، كما أن الروح القدس قد صدر من

(١) عبد الجبار: المغني، ٥/٨٠.

(٢) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ١/٩٣-٩٤

الآب بالانبثاق الأزلي بغير انقطاع وبكل خواصه وصفاته؛ لما كان (أبوه، وروح محييه)[١]. ولكل واحد من هذه الأقانيم ما للآخر من الخواص الجوهرية سوى الأقنومية؛ «فالله الوالد ليس هو الابن المولود، ولا يجوز أن يكون الآب الوالد ابناً مولوداً، ولا الابن المولود أباً والداً، وكذا الروح القدس، ومن قال غير هذا فليس من النصارى»[٢]؛ فالآب هو الله من حيث الجوهر، وهو الأصل من حيث الأقنوم، والابن هو الله من حيث الجوهر وهو المولود من حيث الأقنوم، والروح القدس هو الله من حيث الجوهر، وهو المنبثق من حيث الأقنوم؛ أي إن الأقانيم الثلاثة تشترك معاً فى جميع خواص الجوهر الإلهي الواحد، وتتمايز فيما بينها بالخواص الأقنومية؛ فالآب هو الأصل والينبوع في الثالوث، فهو أصل الجوهر وأصل الكينونة بالنسبة للأقنومين الآخرين، والابن أقنوم مولود من الآب، وله كينونة حقيقية، وغير منفصل عن الآب؛ «إله حق من إله حق، من جوهر أبيه»[٣]؛ لأنه كلمة الله، والروح القدس أقنوم منبثق من الآب، وله كينونة حقيقية،

(١) عبد الجبار: المغني، ٥/٨٠.

(٢) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ١/٩٣.

(٣) المصدر السابق، ٩٣-٩٤.

وغير منفصل عن الآب؛ «روح الحق الذي يخرج من أبيه، روح محبيه»[(١)]؛ لأنه روح الله.

والأقانيم الثلاثة لا يختلف أحدها عن الآخر إلا بما يتناسب مع خاصيته؛ فللابن كل خواص الآب الجوهرية، وكذا الروح، لكل منها ما للآب من صفات؛ كالحكمة والحق والعقل والحياة وغيرها؛ فالحق مثلاً هو خاصية تشترك فيها الأقانيم جميعاً؛ فالآب هو حكمة وحق وعقل ومحبة وحياة وقوة وفهم، من حيث الجوهر، والابن هو كذلك من حيث الجوهر، والروح القدس هو كذلك أيضاً من حيث الجوهر؛ وهذا ما يفسر سبب إضافة واضعي قانون الإيمان في تسبيحة الإيمان قيد أو موصون (omoousion)، والذي معناه (له نفس الجوهر)؛ لكي يؤكدوا أن أي صفة تنسب إلى الآب، فسوف تنسب للابن أيضاً[(٢)]؛ فلا تمايز بينهما إلا بالخاصية الأقنومية؛ و «لكلٍّ من الآب والابن والروح القدس ما للآخر من الألقاب والصفات الإلهية، إلا ما كان خاصاً بالأقنومية، ويستحق كلٌّ منهم العبادة الإلهية

(١) المصدر السابق.

(٢) P. Schaff & H. Wace, N. & P.N. Fathers, series 2, Letter 52, To the Canonicoe, Vol. VII, p.155, 156.

والمحبة والإكرام والثقة»[1]؛ فالآب لا ينفرد إلا بالأبوة، والابن لا ينفرد إلا بالبنوة، والروح لا ينفرد إلا بالروح؛ ومقتضى هذا أن كل صفات الآب هي للابن ما عدا أن الآب هو آب، والابن هو ابن، وكذا الروح روح، «فالآب والد حي قادر قديم عالم خالق رازق، وإله هو ابن مولود كلمة حي قديم خالق رازق ليس بآب ولا والد، ولا يجوز أن يكون والداً ولا أباً، وإله روح قدس حي عالم قديم خالق رازق»[2].

وما ذكره القاضي عبد الجبار من تحليل هو ما أكدته القوانين النصرانية الثلاثة القديمة، النيقوي والقسطنطيني والأثناسي، والتي أشرنا إليها آنفاً، فكلها تؤكد أن «الآب إلهٌ، والابن إلهٌ، والروح القدس إلهٌ. ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحدٌ. وهكذا الآب رب، والابن رب، والروح القدس رب، ولكنهم ليسوا ثلاثة أرباب بل رب واحد»[3]، يقول جيمس أنس: «كل أقنوم يتميز عن الآخر (لامخلوقاً منه) في أقنوميته دون جوهره، ليس أنهم ثلاثة آلهة

(١) جيمس: علم اللاهوت النظامي، فصل٨: س٤.

(٢) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ٩٥/١.

(٣) جيمس: علم اللاهوت النظامي، فصل٨: س٤، فصل ٣٧: س ٦-٩، فصل ١٣: س ١٥-١٩، وفصل ٤٩: س ٨

لأن الجوهر واحدٌ، وليس الأقانيم مجرد تجليات مختلفة لجوهر واحد فقط؛ لأن الأقانيم هم ثلاثة لا واحد، بل إن الجوهر الواحد كائن في ثلاثة أقانيم؛ لا نقول في ثلاثة جواهر، ولا نقول في أقنوم واحد؛ لأن الجوهر ليس بمعنى الأقنوم ولا الأقنوم بمعنى الجوهر»[١]. ولا نبعد إذا لخصنا اللاهوت النصراني في مقولة واحدة، وهي: «لا إله إلا إله واحد، آب وابن وروح قدس».

المصطلح اليوناني	النطق العربي	الترجمة الإنجليزية	الترجمة العربية	مصطلح القاضي
ουσια	أوسيا	Essence	جوهر	جوهر
φυσις	فوزيس	Nature	طبيعة	طبيعة
υποστασις	هيبوستاسيس	Person	أقنوم	أقنوم
προσωπον	بروسوبون	Person	شخص	شخص

بيان المصطلحات اللاهوتية النصرانية وترجمتها وما يعادلها عند القاضي[بيان رقم٢]

وهذه المقارنة تؤكد أن القاضي عبد الجبار كان على علم دقيق بقانون إيمان النصارى وألفاظها اللاهوتية، ومفاهيمها العقدية، والعلاقات القائمة بين الأشخاص الإلهية، والتصور التوحيدي المختار كما يتجلى من البيان [رقم٢]. وبذلك يتأكد أن غي

(١) المصدر السابق، و McGrath, Christian Theology, p321-322.

مونو لم يكن مصيباً في ادعائه عدم اطلاع المفكرين المسلمين الأوائل عامة والقاضي عبد الجبار خاصة على دلالات المصطلحات اللاهوتية، وخفايا قانون الإيمان المسيحي، والعلاقات القائمة بين الأشخاص الإلهية والأقانيم الربانية. ومهما يكن من أمرٍ، فلا يمكننا أن نتأكد من إلمام القاضي عبد الجبار بدقيق لاهوت النصارى إلا إذا فحصنا تصوره لألفاظهم العقدية ودلالاتها، ثم قارنّاها بدلالاتها عند لاهوتيي النصارى عنصراً عنصراً، لنعرف مدى إدراكه لمعتقداتهم واطلاعه على دقيق لاهوتهم.

وبتتبع كتابات القاضي عبد الجبار حول دلالات قانون الإيمان النصراني، يتبين أنها تقوم على ثلاثة أسس، وهي: **القول بثلاثة أقانيم متمايزة متساوية، والقول بوَحدة الجوهر الإلهي، والقول بتاريخية المعتقد ومعقوليته**، وسنهتم بتتبع تصور القاضي عبد الجبار لثلاثتها في العناصر الموالية

الفصل الثالث

القول بثلاثة أقانيم متمايزة متساوية

يؤمن النصارى بوجود ثلاثة أقانيم في الجوهر الإلهي، كل واحد منها أقنوم متميز، لأن الأقنوم ترجمة لكلمة يونانية (Hypostasis)، مكونة من مقطعين: (هيبو) (Hypo) وهي تعني تحت، و (ستاسيس) (Stasis) وتعني: قائماً أو واقفاً، وبهذا فإن كلمة هيبوستاسيس تعني القائم، و تعني لاهوتياً ما يقوم عليه الجوهر أو ما يقوم فيه الجوهر أو الطبيعة[١]، وهو كائن حقيقي له شخصيته الخاصة به، وله إرادة، ولكنه واحد في الجوهر والطبيعة مع الأقنومين الآخرين بغير انفصال[٢].

يؤكد القاضي عبد الجبار أن النصارى تؤمن بوجود الأقانيم وألوهيتها، أقنوم «البارئ عز وجل

---

(١) McGrath, Christian Theology, p321-322.

(٢) المصدر السابق.

اسمه، وأقنوم الابن؛ أي الكلمة، وأقنوم روح القدس؛ أي الحياة»[(١)]، ذكرتها نص تسبيحة الإيمان بقولها: «نؤمن بالله الآب الأحد، خالق مايرى وما لايرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح، ابن الله بكر أبيه، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء،[...]، ونؤمن بالرب الواحد روح القدس، روح الحق الذي يخرج من أبيه، روح محييه»[(٢)]. وما ذكره القاضي هنا لايكاد يختلف عن فهوم النقاد المسلمين المعاصرين للإلهيات النصرانية، يقول الكندي الفيلسوف المعروف (ت٢٥٢هـ): «إن فرقهم جميعاً تقرُّ أن ثلاثة أقانيم، لم تزل جوهراً واحداً، يريدون بالأقانيم: أشخاصاً، وبجوهر واحد: أن كل واحد منهم موجود بخاصته»[(٣)]. ويشير القاضي عبد الجبار إلى وجود فرق مسيحية بائدة كانت توحد الله، تنكر هذه الأقانيم، وتنكر ألوهية المسيح، وهذا ما يؤكده الحسن بن أيوب بقوله: «ولما نظرت في مقالات النصارى وجدت صنفاً منهم يعرفون

---

(١) عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ٢١١/١.

(٢) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ٩٣/١-٩٤.

(٣) أبو يوسف إسحاق الكندي: مقالة في الرد على النصارى، (بيروت: دار الكتب، ١٩٩٥)، ٢٠.

بالأريوسة مجرّدون توحيد الله ويعترفون بعبودية المسيح عليه السلام، ولا يقولون فيه شيئاً مما يقوله النصارى، من ربوبية ولا بنوة خاصة، ولا غيرهما، وهم متمسكون بإنجيل مقرون بما حادثه تلاميذه، والحافلون عنه»[١].

وقد حاول القاضي عبد الجبار أن يحرر معنى الأقنوم عند النصارى، فتبين أنهم اختلفوا في حقيقتها؛ «فقال بعضهم: إن الأقانيم هي الخواص، وقال بعضهم: أشخاص، وقال بعضهم: وجوه وصفات؛ فكأنهم يقولون: جوهر واحد، ثلاثة خواص وثلاثة أشخاص[٢] ويبدو أن سبب هذا التذبذب في ضبط المصطلح هو التعبير اللاهوتي ذاته. ومهما يكن من أمرٍ فقد أجمعوا على تمايزها؛ (فالله الوالد ليس هو الابن المولود، ولا يجوز أن يكون الآب الوالد ابناً مولوداً، ولا الابن المولود أباً والداً، وكذا الروح القدس، ومن قال غير هذا فليس من النصارى»[٣]. وهي العقيدة نفسها التي نظر لها لاهوتيو النصارى[٤].

ويوضح القاضي عبد الجبار أن النصارى ترجع

(١) المصدر السابق.

(٢) عبد الجبار: المغني، ٥/٨٢.

(٣) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ١/٩٣.

(٤) جيمس: علم اللاهوت النظامي، فصل١٣: س١٦.

في تحليلها للأقانيم إلى مفهوم صفات المعاني كما هي متبلورة في الدرس الكلامي[(١)]؛ إذ يقولون: **«إن الله خالق الأشياء، والخالق حي متكلم، وحياته هي الروح التي يسمونها روح القدس، وكلامه هو علم»**[(٢)]؛ فقد وصفوا الله بصفتين معنويتين: (حي) و (متكلم). ومنهم قال بدل الحي (قادر)، ثم جعلوا صفات المعاني (الحياة) و (الكلام)، أو (القدرة) و (الكلام) أقنومين[(٣)]، و «يزعمون أن **هذه الثلاثة هي إله واحد وخالق واحد، وأنها من جوهر واحد»**[(٤)]؛ فكل أقنوم مشخص متعين، ومتميز عن الآخر في أقنوميته دون جوهره، ولذلك يقولون ليس هم ثلاثة آلهة بدعوى أن الجوهر واحدٌ في ثلاثة أقانيم، وكما هو للكل هو لكل واحد منها أيضاً، ولذلك يجزمون: إنا «لا نقول في ثلاثة جواهر، ولا نقول في أقنوم واحد؛ لأن الجوهر ليس

---

(١) الحق أن القول بالأقانيم ليس كالقول بصفات المعاني، ولقد أبعد القاضي عبد الجبار في تسويته بين القول بالأقانيم وقول الأشاعرة بصفات المعاني؛ ذلك أن الذين قالوا بصفات المعاني أرادوا أن الصفات قائمة بالذات الإلهية، قديمة قدم الذات، لكنهم لم يدعوا مرة أنها إله متعين كما ادعى النصارى، فأنى التشابه؟؟

(٢) عبد الجبار: المغني، ٥/٨٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

بمعنى الأقنوم ولا الأقنوم بمعنى الجوهر»[(١)].

والأقانيم الثلاثة، الآب، والابن، والروح القدس، تتفق في الكينونة والجوهرية[(٢)]، وجميع خواص الجوهر الإلهي الواحد، وتتمايز فيما بينها بالخواص الأقنومية كما اتضح أعلاه، ولا يختلف أحدها عن الآخر إلا بخصوصيات الأقنوم؛ فلكل واحد منها ما للآخر، فللابن كل خواص الآب الجوهرية وصفاته الجمالية والجلالية، إلا ما كان خاصاً بالأقنومية والأفعال[(٣)]. ولذلك يصفون كل واحد منها بما يصفون به الآخر إلا ما تعلق بالأقنومية، فيقولون: «إنه هو آب والد حي قادر قديم عالم خالق رازق، وإله هو ابن مولود كلمة حي قديم خالق رازق ليس بآب ولا والد، ولا يجوز أن يكون والداً ولا أباً، وإله روح قدس حي عالم قديم خالق رازق، ثم قلتم: ثلاثة أقانيم، فقلتم في واحد منها: إنه إله ورب وقديم، وامتنعتم من الإقرار بالجملة وقد أعطيتم التفصيل»[(٤)].

وما ذكره القاضي عبد الجبار هنا هو ما أكده لاهوتيو النصارى القدامى، أخص بالذكر القديس

---

(١) جيمس أنِس: علم اللاهوت النظامي، فصل١٣: س٢٠.

(٢) عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ٢١١/١، و٢٩٣-٢٩٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ١٢١/١.

أثناسيوس الرسولي[١]، إذ يقول: «ولأن اللاهوت واحد في الآب والابن، فإنه نشأ عن ذلك بالضرورة أن كل الصفات التي تقال عن الآب قيلت هي بعينها عن الابن، إلا صفة واحدة وهي أن الآب أب.. لأن الابن نفسه يقول عن ذاته مخاطباً الآب: "كل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي"[٢]، [...]، لماذا تنسب صفات الآب للابن؟ إلا لكون الابن هو نبع من الآب»[٣]. إذن، فالصفات في تعلقها بالأقنوم

(١) ولد القديس أثناسيوس بمصر بين عامي ٢٩٥ و٢٩٨م، ولم يذكر المؤرخون اسمي والديه ولكنهما كانا مسيحيين، عاشا بالصعيد، ثم رحلا إلى الإسكندرية. ولما مات والده أتت به أمه إلى البابا ألكسندروس، فعلمها أصول المسيحية وعمدها، وفرقت كل مالها على الفقراء، ومكثا عند البابا البطريرك، فعلم أثناسيوس علوم الكنيسة، ورسمه البابا شماساً ثم سكرتيراً خاصاً له؛ واختير بطريركاً سنة ٣٢٨ م. اهتم بالرد على بدعة أريوس. وصحب البابا ألكسندروس إلى المجمع المسكوني الأول بنيقية عام ٣٢٥ م، وهناك اشتهر بأنه مقاوم للأريوسية، وخطيب ومحاور، وساهم بشكل كبير في وضع قانون الإيمان الأرثوذكسي الذي تردده الكنائس اليوم، وصار عمدة في التثليث، ومساواة الابن بالآب. له عشرات من الكتب في اللاهوت. توفي سنة ٣٧٣م.

(http://www.antiochair.com/library/saints/St.Athanasius_the-Great/his_life.htm) (5/3/2008).

(٢) يوحنا ١٧: ١٠

(٣) And so since they are one, and the Godhead itself one, the same things are said of the Son, which are said of the Father, except His being said to be Father...For 'all things,' says the Son Himself, 'whatsoever the Father hath, are Mine;' and again, 'And Mine are Thine'...

تختلف بالاعتبار لا غير؛ فالآب الحكيم الذي ولد الابن الحكمة وبثق روح القدس روح الحكمة؛ والآب العاقل ولد الابن العقل (الكلمة)، وبثق روح القدس روح العقل؛ والآب الحقاني ولد الابن الحق، وبثق روح القدس روح الحق؛ والآب الحي ولد الابن الحياة، وبثق روح القدس روح الحياة؛ والآب القوي ولد الابن القوة، وبثق روح القدس روح القوة؛ والآب الفهيم ولد الابن الفهم، وبثق روح القدس روح الفهم، وجماع هذه الاعتبارات يلخصها[البيان٢].

الثالوث القدوس	الآب	الابن	الروح القدس
الصفات/الخواص	والد(الأبوة)	مولود(البنوة)	منبثق(الانبثاق)
حق	الحقاني (ينبوع الحق)	الحق	روح الحق
عقل	العاقل (ينبوع العقل)	العقل (الكلمة)	روح العقل
حكمة	الحكيم	الحكمة	روح الحكمة
محبة	المحب	المحبة	روح المحبة
حياة	الحي	الحياة	روح الحياة
قوة	القوي	القوة	*روح القوة*
فهم	الفهيم	الفهم	روح الفهم

[بيان اعتبارات الصفات الإلهية وتعلقاتها - [بيان٣]]

= and why are the attributes of the Father ascribed to the Son, except that the Son is an Offspring from Him?, P. Schaff & H. Wace, N. & P.N. Fathers, series 2, Vol. IV, Eerdmans Pub. Company, Sept. 1978, St. Athanasius, Four Discourses Against the Arians- Discourse III, points 4 &5

ويؤكد القاضي عبد الجبار أن النصارى تقر بتساوي الأقانيم، وتؤكد التمايز في الخاصية الأقنومية، كما تؤكده في الأفعال الأقنومية، ولا ترى في الجمع بينها تناقضاً، فثلاثتها متساوية في الجوهر مختلفة في الخاصية الأقنومية والأفعال؛ لأن «الإله في جوهريته ليس بثلاثة، وإنما هو ثلاثة في أقنوميته»[١]. وقد تم توضيح معنى التمايز في الخاصية الأقنومية في العنصر السابق. وأما التمايز على مستوى الأفعال، فيذكر القاضي عبد الجبار أن النصارى قد جعلوا لكل أقنوم منها فعلاً لا يفعله الآخر، ولا يحق له[٢]؛ ويوضح ذلك إجمالاً بقوله: «الله الوالد ليس هو الابن المولود، ولا يجوز أن يكون الوالد ابناً مولوداً، ولا الابن المولود أباً والداً، وكذا الروح القدس، ومن قال غير هذا فليس من النصارى»[٣]، ويقول القاضي عبد الجبار أيضاً: «إنا نجدكم تفردون كل واحد منها بالإنعام والإيمان كما هو مذكور في تسبيحة الإيمان[٤]، وتسبيحة

---

(١) عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ١/١١٠.

(٢) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ١/٩٣-٩٤.

(٣) المصدر السابق، ٩٣.

(٤) سبقت الإشارة آنفاً، ونقلنا نصها فيما سبق، وراجع نصها في: المصدر السابق، ٩٣-٩٤.

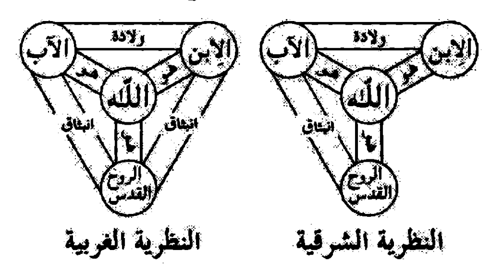
القربان، وتفردونها أيضاً بالصنع والأفعال والخلق والتدبير»[١]، فقد قالوا: إن الآب «الأحد، خالق مايرى وما لايرى»[٢]، أزلي، يختار ويدعو[٣]، وهو الذي «اختلع من ملكه كله وجعله لابنه، فهو يخلق ويرزق ويحيي ويميت»[٤].

وأما الابن فإنه مولود أزلاً من الآب[٥]، «بكر أبيه، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه»[٦]، وهو «النازل من السماء حتى صار في بطن المرأة، وصار هو وابنها بالاتحاد الذي فعله إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً، وأنه هو الذي أظهر الآيات في الأرض، وهو المقتول المصلوب، وهو الذي أحيا نفسه بعد الموت، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، فهذه الأفعال كلها الابن فعلها لا الآب»[٧]، وهو الذي يتولى عمل الفداء، ويكفر عن خطايا العالم، ومارس وظيفة النبي والكاهن والملك

(١) المصدر السابق، ١١٠.
(٢) المصدر السابق، ٩٣-٩٤.
(٣) المصدر السابق، ١١٠.
(٤) المصدر السابق، ١١.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ١/١١٠.

لأجل البشر، وسيقيم الأموات ويقضي بينهم ويدينهم في الآخرة[(١)].

وأما الروح القدس فهو «روح الحق الذي يخرج من أبيه، روح محييه»[(٢)]، انبثق أزلاً من الآب فقط كما تعتقد الكنيسة الشرقية، أو من الآب والابن معاً، كما تعتقد الكنيسة الغربية [راجع البيان٤][(٣)].



النظرية التثليثية بين التصورين الشرقي والغربي [البيان رقم٤][(٤)]

ومن أفعال الروح القدس التي يذكرها النصارى أن الآب أرسله لينير قلوب البشر ويرشدها ويمدها بالمعونة اللازمة ليفدي البشر، وألهم الأنبياء والكتبة ليدونوا الوحي. وتُنسب إلى ثلاثتهم أعمال مشتركة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) McGrath, Christian Theology, p322-325.

(٤) Ibid.

مثل خلق العالم وحفظه، وكلها امتيازات تختص بالأقنوم لا بالجوهر؛لأن الجوهر في الثلاثة، وهو واحدٌ للآب والابن والروح القدس، فَلُبُّ لاهوت التثليث كما يقول جيمس: «تثليث أقنومي أزلي، في جوهر واحد إلهي»[١].

ويذكر القاضي عبد الجبار أنّا «بينا هم يفردون كل واحد منها بفعل، وبينا هم يقولون: إن الأمر كله قد رجع على الابن»[٢]، ويقصد هنا أن النصارى تارة ينسبون فعلاً إلى الآب، وتارة أخرى إلى غيره من الأقانيم، وتارة إليها جميعاً، فقد نسبوا فعل الخلق إلى الآب، فقالوا إن الآب «الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء»[٣]، كما نسبوه إلى الابن، فقالوا: «إنه خالق السموات والأرض والأولين والآخرين، ورازقهم، ومحييهم ومميتهم وباعثهم وحاشرهم ومحاسبهم ومثيبهم ومعاقبهم»[٤].

إن ما ذكر هنا لينهض دليلاً يثبت أن القاضي عبد الجبار كان على علم بدقيق معتقد النصارى، وليدفع دعوى غي مونو أنه قوَّلهم ما لم يقولوا.

(١) جيمس: علم اللاهوت النظامي، فصل١٣: س٢٠.
(٢) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ١/١١.
(٣) المصدر السابق، ٩٣-٩٤.
(٤) المصدر السابق، ٩٤.

القول بوَحدة الجوهر الإلهي:

بين القاضي عبد الجبار أن النصارى تعتقد أن الله جل وعلا جوهر ليس مادياً، ولذلك قال: «فإن قال منهم قائل: إنما قلنا بالأقانيم الثلاثة، وإنه جوهر واحد؛ لأن الأشياء لا تخلو من جوهر وعرض، والعرض لا يصح منه الفعل، فيجب كونه جوهراً. والجوهر على ضربين، جسم، وما ليس بجسم، فالجسم يحتمل التركيب والتجزئة، فيجب أن يكون الإله ليس بجسم»[(١)]، وهذا ما أكده كل من الإمام الإيجي[(٢)]، والإمام القرافي[(٣)]، والإمام الشهرستاني[(٤)]، يذكرون أن النصارى يرون أن الله جوهر غير مادي، بدليل أن الموجودات قسمان: ما يفتقر في وجوده إلى غيره، وما لا يفتقر، والأول هو ممكن الوجود لذاته، والثاني هو واجب الوجود لذاته؛ والممكن الوجود لذاته قسمان: جوهر وعرض؛ أما الجوهر فهو في تعريف الإسلاميين: المتحيز لذاته الذي لا يقبل القسمة،بخلاف العرض، فهو

---

(١) عبد الجبار: المغني، ٥/٩٩.

(٢) الإيجي: المواقف في علم الكلام، ٢٧٣.

(٣) شهاب الدين القرافي: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٨٦)، ٤٢.

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، (بغداد: دار المتنبي، دت)، ٦٠.

المعنى المفتقر إلى متحيز يقوم به[١]، مما يؤكد أنهم كانوا على علم دقيق بمعتقد النصارى، ويثبت أنهم كانوا واعين أن النصارى في وصفهم الله بالجوهرية لا يعنون أنه جسم مادي البتة. ومهما يكن المعنى الذي يريده النصارى بالجوهر، فإن القاضي عبد الجبار يرفضه وينكر إدراج الألوهية تحت أحد القسمين،الجوهر أو العرض مهما كان السبب؛ ودليله: «إنه تعالى ليس جوهراً، إذ لو كان جوهراً لكان محدثاً، وقد ثبت قدمه، ففسد قولهم إنه جوهر ثلاثة أقانيم»[٢]، ويبدو هنا جلياً أن القاضي عبد الجبار يرفض هذا الإطلاق لما فيه من دلالة حدوث التي لا يصح أن تضاف إليه جل وعلا؛ إذ إن الإطلاق يقتضي الالتزام بمضامين الكلمة ودلالاتها المختلفة، ولذلك فقد رفضته الاتجاهات الكلامية الأخرى، بدليل أن «الموهمات لما لا يليق بالربوبية يتوقف على نقل صحيح ثابت»[٣]، ودليل أن «الباري تعالى لا يوصف بشيء من هذا من طريق الاستدلال، لكن من طريق السمع خاصة، ولا يصح

(١) القرافي: الأجوبة الفاخرة، ٤٢.

(٢) عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ٢١١/١.

(٣) القرافي: الأجوبة الفاخرة، ٤٢.

لهم دليل، لا من إنجيلهم، ولا من غيره من الكتب، أن العلم يسمى ابناً، ولا في كتبهم أن علم الله هو ابنه»[١]؛ فأسماء الله توقيفية لا توفيقية، ومع ذلك فإنهم لم يمتنعوا من دراسة إمكانية هذا الإطلاق عقلاً ولغة، فنجد في كثير من ردود الإسلاميين تعقيبات حول إطلاق لفظة الجوهر على الله[٢].

ويؤكد القاضي عبد الجبار أن تمايز الأقانيم في نظر النصارى لا يقتضي التعدد في الذات الإلهية ولا التكثر؛ إذ «الإله في جوهريته ليس بثلاثة، وإنما هو ثلاثة في أقنوميته»[٣]؛ أي إن التعدد أقنومي في اللاهوت، ولا يطال الجوهر بحال من الأحوال؛ إذ «يقولون: إنه ثلاثة أقانيم، ذات، وهو واحد»[٤]، ويرفضون فكرة ثلاثة آلهة متغايرة[٥]، فلا تعدد آلهة، ولا تَكَثُّرَ في ذات الله ولا في كينونته ولا في جوهره، فهو واحد، كما يرفضون أن يكون معنى ثلاثة أقانيم ثلاثة جواهر أو «ثلاثة آلهة، بل

(١) ابن حزم: الفصل في الملل والنحل، ١/٥٠.

(٢) المصدر السابق، والقرافي: الأجوبة الفاخرة، ٤٢، والإيجي: المواقف في علم الكلام، ٢٧٣، والشهرستاني: الملل والنحل، ٦٠.

(٣) عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ١/١١٠.

(٤) المصدر السابق، ١/٢١١.

(٥) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ١/٩٥.

إله واحد»[١]، «وإنك لتجد النظار منهم والمجادلين عنهم إذا سألتهم عن قولهم في المسيح، قالوا: قولنا فيه إنه روح الله وكلمته مثل قول المسلمين سواء، أو يقول إن الله واحد، [...]، وما أكثر ما تلقى منهم فيقول: ما قلنا في المسيح إنه الله، ولا قلنا إن الله ثالث ثلاثة، ومن حكى هذا عنا فقد أخطأ وكذب»[٢]. وهذا ما يؤكده لاهوتيو النصارى، إذ يقول القديس باسيليوس الكبير[٣]: «في عبادتنا لإله من إله، نحن نعترف بتمايز الأقانيم، وفي نفس الوقت نبقى على التوحيد. نحن لا نقطّع اللاهوت إلى تعدد منقسم، لأن شكلاً واحداً، متحداً في اللاهوت غير المتغير، يُرى في الله الآب وفي الله الابن الوحيد؛ لأن الابن هو في الآب، والآب في الابن، لأنه كما الأخير هكذا هو الأول، وكما هو

(١) جيمس: علم اللاهوت النظامي، فصل١٣: س٢٠.

(٢) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ٩٢/١.

(٣) باسيليوس الكبير(٣٣٠-٣٧٩م)، من أشهر آباء الكنيسة الأوائل المبجلين عند مختلف الطوائف المسيحية المعاصرة، ولد بقيصرية قبدوقية، سنة ٣٣٠م، اعتنق الحياة النسكية، وسنّ لها القوانين الكثيرة، ولا يزال كثيرون من رهبان الشرق يسيرون عليها، وصار أسقفاً على مدينته، فصار بعلمه وقلمه من أكبر أعلام الكنيسة، وخلف آثاراً عديدة في مسائل اللاهوت، مازالت تعد مرجعاً أساسياً لمختلف الكنائس المسيحية، القديمة والمعاصرة، الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسية، ولذلك فقوله فصل في هذه المسائل. (باسيليوس الكبير)(٢٠٠٨/٣/٢)(www.christusrex.org)

الأول هكذا هو الأخير، وبهذا تكون الوحدة. حتى إنه وفقاً لتمايز الأقانيم، فإن كليهما هما واحد وواحد، ووفقاً لوحدة الطبيعة فإنهما واحد. كيف إذن، إن كانا واحداً وواحداً لا يكون هناك إلهان؟»[١].

وما ذكره القاضي عبد الجبار هو ما أكده القديس أثناسيوس بقوله: «يجب علينا ألا نتصور وجود ثلاثة جواهر منفصلة عن بعضها البعض في الله -كما ينتج عن الطبيعة البشرية بالنسبة إلى البشر- لئلا نصير كالوثنيين الذين يملكون عديداً من الآلهة»[٢]. كما نجد القس جيمس أنس ينتصر

(١) (Worshipping as we do God of God, we both confess the distinction of the Persons, and at the same time abide by the Monarchy. We do not fritter away the theology in a divided plurality, because one Form, so to say, united in the invariableness of the Godhead, is beheld in God the Father, and in God the Only begotten. For the Son is in the Father and the Father in the Son; since such as is the latter, such is the former, and such as is the former, such is the latter; and herein is the Unity. So that according to the distinction of Persons, both are one and one, and according to the community of Nature, one. How, then, if one and one, are there not two Gods?) (P. Schaff & H. Wace, N. & P.N. Fathers, series 2, Vol. VII, Eerdmans Pub. Company, Nov. 1978- The Book of Saint Basil on the Spirit, Chapter 18, p. 28).

(٢) [Neither can we imagine three Subsistences separated

لذلك بقوله: «فالمسيحيون يؤمنون بالله الواحد، الموجود بذاته، الناطق بكلمته، الحي بروحه»(١)، ويوضح هذه الفكرة أكثر، فيقول: «إذا قلنا ثلاثة أقانيم إلهية أشرنا بذلك إلى اتحاد جوهري، أي إلى ثلاثة في طبيعة واحدة لا نوعية بل جوهرية، أي في الذات الواحدة. فأقانيم اللاهوت هي في جوهرٍ واحدٍ فردٍ، لا في جوهرٍ واحد نوعي. فالتعدد الأقنومي في اللاهوت لا يلحق الجوهر، بخلاف التعدد الأقنومي في البشر؛ لأنه في البشر يقوم بتعدد الجوهر والأقنوم معاً؛ فكل من الآب والابن والروح القدس هو باعتبار أقنومه في الذات الواحدة، ولكل منهم جوهر اللاهوت الواحد بلا انقسام ولا انفصال»(٢)، ويقول أيضاً: «فكل أقنوم يتميز عن الآخر، لا مخلوقاً منه، في أقنوميته دون جوهره، ليس أنهم ثلاثة آلهة لأن الجوهر

= from each other, as results from their bodily nature in the case of men, lest we hold a plurality of gods like the heathen), (P. Schaff & H. Wace, N. & P.N. Fathers, series 2, Vol. IV, Eerdmans Pub. Company, Sep. 1978, St. Athanasius, Expositio Fidei (Statement of Faith) P. 84,85).

(١) جيمس: علم اللاهوت النظامي، فصل١٣: س١.

(٢) المصدر السابق، س٢٠.

واحدٌ، وليس أن الأقانيم مجرد تجليات مختلفة لجوهر واحد فقط، لأن الأقانيم هم ثلاثة لا واحد، بل إن الجوهر الواحد كائن في ثلاثة أقانيم، لا نقول في ثلاثة جواهر، ولا نقول في أقنوم واحد؛ لأن الجوهر ليس بمعنى الأقنوم ولا الأقنوم بمعنى الجوهر»[١].

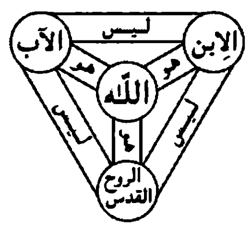
ونجد نفس التصور عند القديس إغريغوريوس[٢] في قوله: «إن أحادية الأصل هي ما نحفظه بتكريم. إنها مع ذلك أحادية الأصل غير المقصورة على أقنوم واحد بعينه. بل إنها ناشئة من تساوي الطبائع

---

(١) المصدر السابق.

(٢) هو إغريغوريوس القديس نازيانزي(٣٣٠ م - نحو٣٩٠م)، من آباء الكنيسة الأوائل ومعلميها، يحظى باحترام كل الكنائس المعاصرة. وُلد من عائلة مسيحية أرستقراطية، سنة ٣٣٠ م تقريباً. كان مولعاً بالدراسة، فغادر إلى الإسكندرية ثم أثينا لطلب العلم، ونال سر المعمودية من والده أسقف مدينة نازيانزي آنذاك، وصار معلم بلاغة في مدينتِه، وصديقاً حميماً لباسيليوس القيصري (الكبير)، وقد قضى معه بعض الزمن في حياة التصوُّف. وجمع معه مختارات من كتابات أوريجانوس وهي المسمّاة فيلوكاليّا filokalia (باليونانية تعني محبة الجمال). ورسم كاهناً عام ٣٦٢ م. وفي عام ٣٧٩ م دعِيَ إلى مدينة القسطنطينية لمحاربة بدعة الأريوسيين الذين نجحوا في الوصول إلى حكم تلك الكنيسة، فقبل هذه المهمة التي استغرقت سنتين، وعاد سنة ٣٨١م إلى نازيانزي، وبقي هناك حتى وفاته. من أعماله ٤٥ عظة، ٢٤٣ رسالة، ٤٠٧ قصائد عقائدية وأخلاقية. ومن أشهر كتاباتِه إحدى القصائد التي يتحدث فيها عن حياتِه الشخصية. (إغريغورس) (٢٠٠٨/٣/٢)(www.christusrex.org)

ووحدة الفكر وتطابق المشيئة والتئام المكونات نحو الوحدة، وهي ما تعجز الطبائع المخلوقة أن تصله. حتى إنه رغم التعددية فليس هناك أبداً انقسام فى الجوهر»[١]، و هذا ما لخصه بعض المسيحيين بالشكل البياني [رقم٥].



الشكل البياني [رقم٥]

ويبين القاضي عبد الجبار أن النصارى يرون أنه لما توحد الجوهر، كانت الأقانيم الثلاثة مشتركة

---

(١) But Monarchy is that which we hold in honour. It is however, a Monarchy that is not limited to one Person, but one which is made of an equality of Nature and a union of mind, and an identity of motion, and a convergence of its elements to unity-a thing which is impossible to the created nature-so that though numerically distinct there is no severance of Essence (Phillip Schaff & Henry Wace, Nicene & Post Nicene Fathers, Vol.VII, Second Series. Hendrickson Publishers June 1995, Article XVII 3rd Theological Oration (on the Son), Article II, p.301).

فيه وفي كل صفاته، ولذلك استحقت نفس الصفات، إلا ما تعلق بالأقنومية؛ إذ يقولون: «إنه هو أب والد حي قادر قديم عالم خالق رازق، وإله هو ابن مولود كلمة حي قديم خالق رازق ليس بأب ولا والد، ولا يجوز أن يكون والداً ولا أباً، وإله روح قدس حي عالم قديم خالق رازق، ثم قلتم: ثلاثة أقانيم، فقلتم في واحد منها إنه إله ورب وقديم، وامتنعتم من الإقرار بالجملة وقد أعطيتم التفصيل»[١]، وهذا ما يؤكده القس جيمس أنس بقوله: «الأقانيم الثلاثة مشتركون في الجوهر الواحد الإلهي، والابن والروح القدس مشتركان في مجد الآب وفي حكمته وقدرته وقداسته وعدله وجميع صفاته من دون استثناء، ويستحقان ما يستحقه من المجد والتسبيح والعبادة والكرامة والثقة. فمن رأى الابن رأى الآب، ومن شعر بحلول الروح القدس وتأثيره فيه عرف الآب والابن. وقد اشترك الأقانيم الثلاثة في عمل الفداء اشتراكاً تاماً، غير أن كلاً منهم متميز عن الآخر وظيفةً وعملاً، لأن لكل منهم عملاً خاصاً. ويمكن أن نلخص هذا التعليم الهام بالقول: «تثليث أقنومي أزلي، في جوهر واحد إلهي»[٢]. ولذلك لا تنسب

(١) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ١/٩٥.

(٢) جيمس: علم اللاهوت النظامي، فصل١٢: س٢٠.

الكينونة إلى الآب فقط، ولا العقل إلى الابن وحده، ولا الحياة إلى الروح القدس وحده، لأنه في نظرهم سيقسّم الجوهر الإلهي الواحد إلى ثلاثة جواهر مختلفة، ويفصل بينها(١)، ويؤدي إلى اختصاص الآب بالجوهر إذ إن له وحدَهُ الكينونة، وهذا ما ينفي الجوهر عن الابن والروح القدس ويلغي كينونتهما، ويحولهما إلى صفات لأقنوم إلهي وحيد هو أقنوم الآب(٢)، كما رأى سابيليوس(٣)،

(١) صبحي الصالح وفريد جبر: ملحق فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية، ٢/٢٩٣.

(٢) P. Schaff & H. Wace, N. & P.N. Fathers, series 2, Vol. VII, Eerdmans Pub. Company, Sept. 1978, Gregory Nazianzen , Fifth Oration on the Holy Spirit p..328

(٣) ولد سابيليوس في نهاية القرن الثاني ومات عام ٢٦١ م، ليبي، تعلّم في رومة وصار كاهناً في مصر، وعلم فيها أن الله نفسه هو الذي كفر عن خطايا البشر، وأكد أنها وجوه ثلاثة وليست طبيعة في جوهر الله؛ وليست الكلمات «آب وابن وروح قدس» أسماء أقانيم متميزة، بل أسماء مظاهر أقنوم واحد، سُمّي الآب لأنه الخالق، وسُمّي الابن لأنه الفادي، وسُمي الروح القدس لأنه المعزي والمقدّس. يسمى الله قبل التجسد (آب)، وفي تجسده يسمى (ابن)، وفي عطاياه يسمى (الروح القدس). وقد عقد ديونيسيوس الإسكندري مجمعاً في الإسكندرية سنة ٢٦١م حرم فيه سابيليوس، ولكن أتباعه لجؤوا إلى أسقف رومية وكان يدعى ديونيسيوس أيضاً واتهموا بطريركهم الإسكندري بالهرطقة. وفي تسرع حرم الأسقف الروماني البطريرك الإسكندري وأرسل له رسالة إلى الأسقف ديونيسيوس الروماني أفهمه فيها بالأمر فشعر أسقف رومية بخطئه وانتهى النزاع الذي يسمونه تاريخياً (نزاع الدينيسيون) (جيمس: علم اللاهوت النظامي، فصل١٢: س١١).

وآريوس(١)، وأوسابيوس(٢).

---

(١) الأريوسية مذهب مسيحي ظهر في القرن الرابع على يد كاهن إسكندري آريوس (٢٥٦-٣٣٦م)، تلقى تعليمه اللاهوتي في أنطاكية في مدرسة لوقيانوس، وخدم في الإسكندرية. كان آريوس ذا موهبة في الخطابة فصيحاً بليغاً قادراً على توصيل أفكاره بسلاسة بين العامة والمفكرين، ونشر آريوس أفكاره عن المسيح مستغلاً مركزه كشماس وواعظ في الإسكندرية. يعتقد هذا المذهب ببشرية المسيح، ويقول بأن الابن الكلمة المسيح ليس بإله، ابن الله تكريماً وتكويناً، وليس مساواة أو مشاركة في ذات الطبيعة الإلهية، وعلى هذا فالكلمة ليس أزلياً ولكن مخلوق خاضع لله؛ فالآب هو الأصل، وأن الابن والروح القدس مخلوقان منه، ولو أن لهما المقام الأول بين الخلائق، وطبيعتيهما تشبهان طبيعته. فالرأي الأريوسي ينادي بأن الآب وحده هو الله، وأن الابن والروح القدس لا يشتركان في الطبيعة الإلهية. وهذا يخالف شهادة الوحي. وقد لُخص المذهب الأريوسي بما يأتي: (أ) يتوقف وجود الابن على مشيئة الآب. (ب) ليس الابن أزلياً، فقد مضى زمان لم يكن الابن موجوداً فيه. (ج) خلق الابن من لاشيء. (د) الابن متغيّر. (هـ) يعود فضل الابن إلى أنه وحده مخلوق من الله، تمييزاً له عن بقية الخلائق التي خلقت به. (و) ليس الابن إلهاً بذاته، لكنه صار بمنزلة إله بسبب ارتقاء طبيعته، وعلاقته بسائر الخلائق كخالق وملك يستحق العبادة. (جيمس: علم اللاهوت النظامي، فصل١٣: س١١).

(٢) P. Schaff & H. Wace, N. & P.N. Fathers, series 2, Vol. VII, Eerdmans Pub. Company, Sept. 1978, Gregory Nazianzen , Fifth Oration on the Holy Spirit p..328

الفصل الرابع

القول بتاريخية هذا المعتقد ومعقوليته

بين القاضي عبد الجبار أن النصارى ترى في القول بثلاثة أقانيم جوهر واحد أنها عقيدة كتابية، تاريخية، ومنطقية، وتحتاج كل دلالة من هذه الدلالات توضيحاً لنعرف مدى اطلاعه على مستندات القول بجوهر واحد ثلاثة أقانيم.

أ. عقيدة كتابية (Biblical theology):

يرى النصارى أن القول بالتثليث يستند إلى أدلة نقلية من الكتب المقدسة، فقد قال فيه: «إن الله قال: نريد أن نخلق بشراً على صورتنا ومثلنا، فيقولون: هذا خطاب جماعة، أما تسمعونه، يقول: نريد، ولم يقل أريد أن أخلق بشراً مثلي، لتعلموا أن الآلهة جماعة»[1]. وهو الأمر الذي ينفيه القاضي

(١) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ١/١١٥.

عبد الجبار مؤكداً أن القول بأن الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم، لم ينص عليها الكتاب المقدس البتة، وإنما هي تأويلات لمواضع منه، واستنتاجات تفسيرية لا غير، يقول في ذلك: «وقد بلغ الجهل بالنصارى في بدعهم هذه أنهم يقصدون إلى ألفاظ في التوراة، وفي كتب الأنبياء محتملة، يحملونها على ظنونهم السيئة، وبدعهم هذه الفاحشة، فيقولون: إنما أراد إبراهيم وموسى وهارون وسائر الأنبياء، وهو ما أردناه من أن الله ثالث ثلاثة، وأن الأرباب جماعة، وأن الله يصعد وينزل، ويولد ويقتل، فيقصدون إلى ما في التوراة من أن الله قال: نريد أن نخلق بشراً على صورتنا ومثلنا، فيقولون: هذا خطاب جماعة، أما تسمعونه، يقول: نريد، ولم يقل أريد أن أخلق بشرا مثلي، لتعلموا أن الآلهة جماعة»[١]. ويظهر هنا جلياً أن القاضي عبد الجبار يرى أن ما تدعيه النصارى دلائل نقلية على التثليث والقول بالأقانيم هو مجرد تأويلات لا يدعمها العقل، ولا يسندها النقل، ولا الرواية، لا من التوراة، ولا من كتب الأنبياء ولا من الأناجيل، ولا من القرآن[٢]،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

التزموا بها لما أرادوا الجمع بين ما تحصل لديهم من اعتقاد في التثليث وبين ما آمنوا به من توحيد في العهد القديم، وبذلك جمعوا بين التوحيد والتثليث، يقول القاضي: «والذي يمنع النصارى من إطلاق القول بأنها ثلاثة آلهة متغايرة مختلفة، وإن كانوا قد أعطوا معنى ذلك؛ لأنهم صدقوا بكتب الله عزوجل التي صدق بها المسيح، وهي مملوءة بتوحيد الله وتفرده بالقدم، وأنه لا يشبه الأشياء، إنما هي البدع ابتدعوها بعد المسيح، أرادوا حمل بدعتهم في الشرك على ما في كتب الله، فلم يتم ذلك، وحصلوا على محض الشرك والتشبيه»[١].

ويشاطر القس جيمس أنس رأي القاضي عبد الجبار في نفي وجود دليل جامع للقول بجوهر واحد ثلاثة أقانيم؛ إذ يؤكد أن القول بجوهر واحد ثلاثة أقانيم لم يرد في الكتاب المقدس جملة واحدة، يقول: «لم يرد تعليم وحدانية الله وتميُّز الأقانيم أحدها عن الآخر ومساواتها في الجوهر وعلاقة أحدها بالآخر في الكتاب المقدس جملة واحدة بالتصريح، بل في آيات متفرقة؛ غير أن جوهر هذه الأمور منصوص عليه من أول الكتاب

(١) المصدر السابق، ١١٥-١١٦.

لآخره. ومن الأمور التي تثبت صحة هذا الاعتقاد»[١]، وما أشار إليه بقوله: «بل في آيات متفرقة» هو ما عناه القاضي عبد الجبار بالتأويلات الباطلة، وهذا ما يبين أن الخلاف بين القراءتين هو خلاف بين أسس القراءة والتفسير اللاهوتي، فإذا كان جيمس يؤكد أنه «يتضح من الكتاب المقدس لاهوت الآب كما يتضح لاهوت الابن، ويتضح لاهوت الروح القدس كما يتضح لاهوت الآب والابن»[٢]، فإن القاضي عبد الجبار يجزم أنهم «يقصدون إلى ألفاظ في التوراة، وفي كتب الأنبياء محتملة، يحملونها على ظنونهم السيئة، وبدعهم هذه الفاحشة»[٣]، وما طرحه القاضي عبد الجبار لا يبعد عما توصل إليه أليستر Alister، إذ يرى أن مستند النصارى في القول بالتثليث هو عددان (متى٢٨: ١٩- وكورنثياس١٣: ١٣)، مع أن تفسيرهما يحتمل معنى آخر[٤]. عددان فقط، الأمر الذي يثبت أن

(١) جيمس: علم اللاهوت النظامي، فصل١٢: س٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ١/١١٥.

(٤) Alister says: (The casual reader of Scripture will discern a mere two verses in the entire Bible which seem, at first glance, to be capable of a Trinitarian interpretation: (Mathiew28: 19), and (Corinthians13: 13). Both these =

المفكرين المسلمين كانوا على علم بالمستندات النقلية للقول بالجوهر الواحد ثلاثة أقانيم، وعلى إلمام بمنهجية القراءة والتفسير اللاهوتي النصراني في هذه المسألة.

ب. عقيدة تاريخية (Historical theology):

أي إنها كانت عقيدة النصارى من عهد المسيح إلى وقته، طوال التاريخ، وأن واضعها هو السيد المسيح عليه السلام[١]، ولكن بيانها وتعبيرها تبلور بعد السيد المسيح بالدهر الطويل[٢]، وعلى مراحل

= verses have become deeply rooted in the Christian consciousness, the former on account of its baptismal association, and the latter through the common use of the formula in Christian prayer and devotion. Yet these two verses, taken together or in isolation, can hardly be thought of as constituting a doctrine of the trinity). (McGrath, Christian Theology, p320).

And he also says: (The doctrine of the trinity can be regarded as the process of sustained and critical reflection on the pattern of divine activity revealed in scripture, and continued in Christian experience. This is not to say that scripture contains a doctrine of the trinity, rather, scripture bears witness to a God who demands to be understood in Trinitarian manner). (Mcgrath, Christian theology, p321.

(١) عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ١/١٠٣.

(٢) المصدر السابق.

متعاقبة[١]؛ ولم تكتمل إلا في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، حيث تبلورت (تسبيحة الإيمان)، وكان هذا (بعد المسيح عليه السلام بنحو ثلاث مئة سنة، حين جمعهم قسطنطانوس بن فيلاطس، ملك الروم، الذي أمه هيلانه الحرانية الفندقية، جمعهم ليعملوا تقريراً في إيمانهم، يحملون الناس عليه، ويأخذونهم به، فمن أبى قتلوه، واجتمع عنده نحو ألفي رجل، فقرروا تقريراً ثم رفضوه، ثم اجتمع عنده ثلاث مئة وثمانية عشر رجلاً، وهم يسمونهم الآباء، فقرروا هذا التقرير، وهم يسمونه السنهودس»[٢]. ويظهر من هذا النص أن مجمع نيقية الأول لم ينجح في تقرير رأي عقدي راجح. ثم اجتمعوا ثانية فقرروا (تسبيحة الإيمان)، التي صارت تسمى بقانون الإيمان فيما بعد، والتي جمعت أصول العقائد المسيحية ذات الصلة بالإلهيات والكريستولوجيا، وما ذكره القاضي عبد الجبار لايختلف عما تقرره كتب اللاهوت في تأريخ تطور قانون الإيمان المسيحي[٣].

---

(١) المصدر السابق، ١١٥-١١٦.

(٢) المصدر السابق، ٩٣-٩٤.

(٣) Mcgrath, Christian theology, p322 - 324

ج. عقيدة منطقية (Logical theology):

يذكر القاضي عبد الجبار أن النصارى قد استندوا أيضاً في قولهم بالتثليث إلى أدلة عقلية، أصّلوا لها أصولاً تعقلنُ، وخرّجوا عليها فروع لاهوتهم، وأثبتوا لاهوت القول بجوهر واحد ثلاثة أقانيم، وألوهية كل واحد منها، لتصير منطقية، نكتفي هنا بذكر دليل واحد مما احتفى به القاضي عبد الجبار كثيراً نقداً ومدارسة، منطوقه: «**إنما قلنا الأقانيم ثلاثة، وإنه جوهر واحد**؛ لأن الأشياء لا تخلو من جوهر وعرض، والعرض لا يصح منه الفعل، فيجب كون الإله جوهراً. والجوهر على ضربين: جسم وما ليس بجسم، فالجسم يحتمل التركيب والتجزئة، فيجب أن يكون الإله ليس بجسم. ولا يخلو من كونه حياً أو ليس بحي، والموات لا يكون منه اختيار ولا تمييز ولا فعل، فأثبتناه حياً، والحي ينقسم إلى ناطق وإلى ما ليس بناطق، فما ليس بناطق لا يكون موصوفاً بتمييز ولا حكمة، فيجب كونه ناطقاً، فنثبت كونه جوهراً حياً ناطقاً. ولا يخلو عند ذلك من أن يكون حياً ناطقاً، لأنه جوهر وبحياة ونطق، وإن كان ذلك، لأنه جوهر، وجب كون كل جوهر ناطقاً حياً، فثبت أنه ناطق حي بحياة ونطق،

ويجب كونهما من نفس الجوهر، لأنهما ليسا بحادثين فيه، لأنه قديم غير محدث، قالوا: فيجب أن يكون الجوهر هو الأب، والحياة هي الروح، والنطق هو الكلمة، وهو الابن. وربما زادوا بأن قالوا: والحي على ضربين، ضرب يمكنه الولادة، وآخر لا يمكنه ذلك، فيكون منقوصاً، فوجب أن يكون الإله يمكن فيه الولادة، وذلك يوجب كونه أباً .فلذلك **قلنا: أب وابن وروح القدس، وجعلنا الروح هي الحياة، والابن هو النطق والكلمة»**(١). وليس عسيراً على مدقق أن يستخلص من هذا النص أن القاضي عبد الجبار كان مطلعاً على الإلهيات النصرانية ومحكماً لمصطلحاتها الأساسية، فاقِهاً كونها: الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم، آب وابن وروح قدس، مدركاً اختلافات النصارى في تفسير هذه المصطلحات.



(١) عبد الجبار: المغني، ٥/٩٨-٩٩.

نتائج البحث

توصل هذا البحث إلى نتائج نقدية، وهي:

١. تبين أن مستندات غي مونو في حكمه على الجدل الإسلامي المسيحي ليست مسلمة من البداية، فقد أقام مقارنته بين التصور الإسلامي للتثليث والتنظير المسيحي، من خلال كتاب المغني كما صرح، دون أن يبين كيف توصل لبلورة نتائجه، ولم يفصح عن طريقته في ضبط معاني مصطلحات النصوص التي تخيرها، مما جعل نتيجته غير ذات معنى، ومن ثمّ غير مسلمة.

٢. اتضح أن القاضي عبد الجبار -الأنموذج الذي تخيره غي مونو كحالة ممثلة- كان مطلعاً على قانون الإيمان المسيحي، ملماً بمنطوقه، مدركاً لمفهومه، محكماً لمعانيه ودلالاته المحتملة وتأويلاتها عند النصارى، كما ظهر في تحليله لفظة الجوهر والشخص والأقنوم، وما عرضه لا يختلف عما قرره آباء النصارى كما تأكد من المقارنة.

٣. تبين أن القاضي عبد الجبار كان واعياً بأن النصارى قد اختاروا مصطلحات لها دلالة محررة مقررة بين أهل اللغة والاصطلاح، معلومة أنها تختص بالمحدثات ومشحونة بدلالات حسية لا تصح في حق الذات العلية، فوظفوها ووصفوا بها الله جل وعلا، وأعملوا اللفظ ومعناه تارة واللفظ دون المعنى تارة أخرى؛ فانتقدهم علماء الكلام من حيث إنهم أعملوا اللفظ وأهملوا المعنى، كما تبين في وصفهم لله عز وجل بالجوهر؛ لأنهم بذلك قد أثبتوا له جل وعلا صفة لا تليق بذاته الكريمة، وشأن الصفة أن تناسب الذات العلية وما لها من صفات سنية. كما انتقدهم من حيث أعملوا اللفظ ومعناه، وامتنعوا من الالتزام بلوازمه الدلالية والمنطقية، كما فعلوا في العلاقات التثليثية، ولذلك قال القاضي عبد الجبار: «الذي ادعيناه عليهم من التناقض أردنا به تناقض المعنى، وأنه لا يصح اعتقاده دون تناقض الألفاظ»[1]؛ فلا يصح تصورها على وجه معقول أبداً، ولذلك ألزمهم شيوخ الكلام «القول بتناقض مذهبهم، وأنهم قائلون به على وجه لا يعقل»[2].

(١) المصدر السابق، ٩٠.

(٢) المصدر السابق، ٨٩.

٤. أثبتت المقارنة أن ما طرحه القاضي عبد الجبار من تحليل للتثليث المسيحي وأشخاصه الثلاثة، والعلاقات القائمة بينها، لايختلف عما قرره أعلام النصارى من قديم إلى وقتنا الحاضر، وهذا ما يؤكد دقة المتكلمين وسعة اطلاعهم على العقائد المسيحية، ويثبت عدم صحة نتائج غي مونو في دراسة نصوص الجدل الإسلامي.

٥. ليس مرد الجدل الإسلامي المسيحي والرد على النصارى إلى عدم فهم حقيقة التثليث، وإنما مرده إلى رفض ما يستنتج من أقوالهم، وهذا ما صاغه القاضي عبد الجبار بقوله: «إن كل كلام توصل به إلى إفساد المذهب لم يسقط باختلاف العبارة عن ذلك المذهب؛ لأن الوجه في إفساد المذهب به من حيث المعنى لا من حيث العبارة.فاختلاف العبارات عنه في أنه لا يؤثر فيه كاختلاف العبارات بحسب اختلاف اللغات عن المذهب الفاسد في أن ما يفسد به لا تتغير حاله»[١]. وهذا ما يدحض دعوى غي مونو أن الاختلاف في فهم دلالات الألفاظ مرده إلى كثرة الدلالات الممكنة لألفاظ العقيدة النصرانية، والتي

(١) القاضي عبد الجبار: المغني، ٥/٨٨.

يمكن أن يرفض بعضها الفكر الإسلامي، ويقبل بعضها الآخر، بينما هو متجاوز عنه في الفكر النصراني؛ فالمسألة ذات بعد دلالي منطقي، ولذلك فقد تحرى المتكلمون تتبع مختلف الألفاظ اللاهوتية ودلالاتها عند النصارى، وفحص معقوليتها فحصاً منطقياً، بما يصيِّر بحثهم وافياً؛ فأنى النقد؟



مستخلص

كتاب يحاول أن يضيف جديداً في مجال الحوار الإسلامي – المسيحي وخصوصاً في الرد على د. غي مونو المستشرق الفرنسي في كتاب ((الإسلام والديانات)).

الكتاب في أربعة فصول؛ الأول ((غي مونو والجدل الإسلامي المسيحي)) وهو مدخل الكتاب استعرض فيه فكر هذا الكاتب. والثاني ((القاضي عبد الجبار وقانون الإيمان النصراني)) عرف فيه بآراء هذا القاضي بما عند النصارى، والثالث ((القول بثلاثة أقانيم متمايزة متساوية)) يتابع فيه عرض عبد الجبار عن الأقانيم ومناقشته لها. وجاء الفصل الأخير ((القول بتاريخية هذا المعتقد ومعقوليته)) ناقش فيه عقيدة النصرانية من كونها عقيدة كتابية، وعقيدة تاريخية، وعقيدة منطقية. ثم يفضي إلى عدد من النتائج يعرضها أخيراً أوصلها إلى ست.

Extract

This book endeavors to add something new to the Islamic/Christian dialogue, especially as regards refuting the French orientalist, Dr. Gay Muneu, in his book "Islam and Religions".

The book is presented in four chapters. The first, "Gay Muneu and the Islamic/Christian Debate", represents an introduction to the book and a review of the intellect of the author concerned. The second, "Judge Abdul Jabbar and the Law of the Christian Faith", identifies the attitudes of this judge towards the Christians' beliefs. The third, "Claiming three Equal Distinct Hypostases", goes on with Abdul Jabbar's presentation and discussion of the Hypostases. The final chapter, "The Claim Concerning this Belief and its Reasonability", discusses the Christian belief as a scriptural belief, as a historical belief and as a logical belief.

Finally, the author introduces several findings, which number six.

ORIENTALISTS

AND THE ISLAMIC/CHRISTIAN DEBATE

Al-Mustashriqūn wa- al-Jadal al-Islāmī al-Masīḥī

Dr. ʻAbd al-Ḥakīm bin al-Sharīf Farḥāt

للمستشرقين مواقف شتى من الإسلام ومن المسلمين.. وما تزال مؤلفاتهم ومقالاتهم تصدر عن أرضيّة إشكالية وفي موضوعات حسّاسة.

هذا الكتاب يتناول بالبحث الردَّ على المستشرق الفرنسي غي مونو في كتابه "الإسلام والديانات" مع عرضه لآراء الفيلسوف الإسلامي القاضي الأصولي عبد الجبار الهمذاني (-٤١٥هـ/١٠٢٥م) الذي ناقش العقائد النصرانية في كتابه تثبيت دلائل النبوة في الأقانيم الثلاثة وفي تاريخية المعتقدات المسيحية .

في الكتاب مناقشات دقيقة وحوار يفضي إلى نتائج تهم في موضوع الديانات المقارنة.





ISBN 978-9933-10-064-3

